كان أغلب الأُمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدرهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به ، فحين استحكمت لغتهم ، وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم، وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله عز وجل فتحدّاهم بما كانوا لا يشكون أنهم كانوا يقدرون على أكثر منه ، فلم يزل يقرعهم بعجزهم ، وينقصهم على نقصهم ، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لأقويائهم وخواصهم ، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط ... »

وهكذا تبين للناس كافة ، من آمن بأن القرآن وحي من الله، ومن لم يؤمن ، أن القرآن معجز ، لم يجادل في ذلك أحد ، ولم يكابر فيه مكابر ، ولكن الذي اختلفت فيه الآراء وتعددت المذاهب إنما هو وجه الاعجاز وسرّه. وظهرت كتب كثيرة ومؤلفات جليلة تتناول موضوع الاعجاز ، الى جانب مؤلفات أُخرى تتناول جوانب القرآن الأخرى بالبحث والدراسة .

لقد شعر العلماء بواجبهم نحو القرآن فانصرفوا يؤلفون في مجازه ، ومعانيه ، ولغته وغريبه ، ووجوه إعجازه ، وانكبوا على دراسته بما يملكون من مواهب وطاقات عقلية ونفسية ، وبما وسعته علومهم وأعمارهم ، فكانت لنا من ذلك علوم التفسير والفقه والقراءات